

إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة السادسة-العدد الثاني والعشرون-صيف ١٣٩٥ش/حزيران ٢٠١٦م

صص ٢٩ - ٩

التفرد الإبداعي عند الشريف المرتضى منهجا ورؤية؛ قراءة في كتاب طيف الخيال

نادية هناوى سعدون*

الملخص

يتناول هذا البحث مفهوم التفرد الإبداعي بوصفه هاجسا نفسيا وملمحا ذاتيا يدفع المبدع إلى التميز عن أقرانه ومجايليه رؤية وتشكيلا لما اكتسبه من أدب وعلم. ويتضح هذا المفهوم عند الشريف المرتضى في كتابه (طيف الخيال) من ناحيتي نظم الشعر ونقده، وهو يرصد المعاني ذات الصلة بالطيف والخيال؛ محللا ألفاظه وتركيبه، وموزعا أشكاله في أربع صور: أولا، التفرد بالمؤاخذة والرد وثانيا، التفرد بالتمحيص والتأويل وثالثا، التفرد بالانحياز ورابعا، التفرد بالسبق والصدارة.

الكلمات الدليلية: التفرد، المؤاخذة، التأويل، الانحياز، السبق.

*. أستاذة في النقد الأدبي الحديث بالجامعة المستنصرية، بغداد، العراق

nada2007hk@yahoo.com

تاريخ القبول: ١٣٩٥/٤/١٨ش

تاريخ الوصول: ١٣٩٤/٩/١٨ش

المقدمة

إذا كان الشريف المرتضى شاعرا مميّزا، فإنه أيضا ناقد فذ وكاتب مرموق له أكثر من سبعين مصنفا جمعها الأستاذ أبو الفضل إبراهيم وأضاف الأستاذ الدكتور محمد حسن آل ياسين ثلاثة رسائل نشرتها سلسلة المعارف للتأليف والترجمة والنشر بالنجف. (الشريف المرتضى، ١٩٦٢م: ٣٢-٢٦)

ولم يكن تفرد الشريف المرتضى في عصره مقتصرًا على الأدب والنقد، بل شمل العلم والمعرفة بمختلف صنوفها وقد تخرج على يديه طائفة من تلامذته أصبحوا بعد ذلك أعلاما كأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي وأبي يعلى سالار بن عبد العزيز الطبرستاني. (المصدر نفسه: ٤٧؛ الآمدى، ١٩٧٢م)

ويظهر الشريف المرتضى في كتابه "طيف الخيال" حسا دقيقا وفهما عميقا وبيانا قويا مفصحا عن فهم الشعر بنظرة الشاعر وإحساسه لا بنظرة اللغوى ومقياسه؛ وضمن رؤية انفتاحية تمزج الشعر بالنقد والتأليف بنقد النقد عبر تناوله لآراء المتقدمين في الطيف والخيال مظهرا فيها مقدرة أدبية ونقدية باهرة.

ويحفل الكتاب باستخراجات شعرية في الطيف لمتقدمين ومتأخرين، وبوقفات نقدية إزاء قضايا أدبية كثيرة وقد عدّ المحقق حسن كامل الصيرفي هذا الكتاب من عيون كتب النقد الأدبي «لأن مؤلفه ناقد من الطراز الأول: دقة حس وعمق فهم وقوة بيان وكان يفهم الشعر بنظرة الشاعر وإحساسه لا بنظرة اللغوى ومقياسه وبذلك استطاع أن يصوب أخطاء من سبقوه ويزيد من قيمة هذا الكتاب انه يضم فضلا من كتاب الموازنة للآمدى». (المصدر نفسه: ٤٧؛ والآمدى، ١٩٧٢م)

وأضاف واصفا الشريف المرتضى بأنه «عالم متمكن من لغة العرب واسع الاطلاع قوى الحججة ناصع العبارة بليغها يرتفع بأسلوبه الثرى الجميل الرشيق الأنيق إلى ذروة سامقة». (الشريف المرتضى، ١٩٦٢م: ٢٠)

والمرتضى بحسب رأيه شاعر لا يرتفع إلى مرتبة الناثر أما كونه ناقدًا فإن مكانه في الصدارة فهو بصير بمعانى الكلم دقيق الحس ذواقة للجيد من الشعر يمزج بين الأدب والعلم ويتجلى اطلاعه الواسع في التحليل والنقد. (المصدر نفسه: ٢١-٢٠)

وجدير بالذكر أن الصيرفي بعد أن انتهى من تحقيق كتاب "طيف الخيال" ألحق به مراجع لمؤلفين سبقوا الشريف المرتضى أو تأخروا عنه حقبة من الزمن وقد اثبتوا أقوالا للشعراء في الطيف من خلال وضع فصول في مؤلفاتهم عن الطيف فيها مختارات شعرية لبعض الذين ذكرهم المرتضى أو الذين لم يذكرهم مبتدئا بالشعر والشعراء لابن قتيبة مارا بالموازنة والزهرة وزهر الآداب والحماسة وغيرها، ومنتهيا بنهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري.

وغاية المحقق من وراء ذلك كما قال: «ليكمل هذا الموضوع ويتم لهذا العقد جمانه» (المصدر نفسه: ١٨٢) ويبدو أن المحقق قد أراد بإدراج تلك الاستخراجات من أمهات الكتب القديمة أن يستدرك على الشريف اختياراته أو أن يتحفظ على دعوى الشريف بالسبق والتفرد وليدل على أن المصادر القديمة قد تناولت ذلك أيضا.

وقد شكل هذا الملحق ما نسبته ٥٠٪ من الكتاب فمن صفحة ١٨٧ إلى صفحة ٣٧٥ أى ما يقارب ١٨٨ صفحة مقابل ١٨١ هي كامل عدد صفحات كتاب طيف الخيال!

التفرد ومنهجية نقد الشعر

التفرد الإبداعي هاجس نفسى وملح ذاتي يدفع صاحبه إلى التميز رؤية وتشكيلا متباها بالموهبة الفطرية التي حباه الله بها وبما اكتسبه من أدب وعلم. وهو في ذلك كله مترود بحوافز معلومة ودوافع مقصودة تؤهله لأن يسلك هذا المسلك فيكون بالنسبة للآخرين ممن جالوه أو لم يجالوه مثالا يحتذى وصورة مشرقة للتفرد الإبداعي الطامح إلى التائق بفاعلية وإيجابية أصلا وفرعا.

وعلى مستوى الأدب والنقد كان التفرد عند الشريف المرتضى سمة من سمات الموهبة الفذة والفطرة السليمة ليكون علما أدبيا له مسلكه الخاص لغة وصياغة سواء أكان ذلك في نظم الشعر أم نقده وتلقيه أم في صوغ النثر والبيان بأشكاله المختلفة.

وقد درس المرتضى بعض الظواهر الأدبية كما شخص قضايا فنية وجمالية وعن ذلك قال الشجرى: «انظر هذا الطبع المتدفق والنسج المطرد المتسق من أعرابي قح قيل إنه أول مفتتح لوصف الطيف وكأنه لانطباع سبكه وجودة رصفه لما قال هذا المعنى

الكبير وقلب باطنه ظاهره وياشر أوله آخره.» (الملوحي، ١٩٧٠م: ٦٢١-٦١٣)
 ولا يغدو التفرد سمة يحملها صاحبها ما لم يكن على ثقافة عالية ودراية عميقة
 ووافية في الأدب والعلم ليكون له طابعه الخاص ورؤيته الفكرية المخصوصة به لوحده
 دون غيره وقد كانت للمرئضى «جولات في علم الكلام إذ كان من أقطاب المتكلمين
 في القرنين الرابع والخامس الهجريين ... وظهر ذلك في مؤلفاته الأمالى والشافى والمحكم
 والمتشابه وتنزيه الأنبياء.» (قصاب، ١٩٨٥م: ١٢٧)

وشعريا تفرد الشريف المرتضى بالنظم في مختلف فنون الشعر شأنه شأن أخيه الشريف
 الرضى الذى قال عنه الدكتور زكى مبارك: «أفحل شاعر عرفته العربية وأعظم شاعر
 تنسم هواء العراق» (مبارك، ج ١، ١٩٥٢م: ٩)

ولا غرو أن الشاعر لن يحتل موقعا مهما في العملية الإبداعية ما لم يحمل في داخله
 هاجسا نقديا يدفعه إلى أن يتمم بنية كتابة النص بما يضمن لها شروط التلقى والتأويل
 وقد أدرك المرتضى أن «القارئ شريك إيجابى في إعادة الخلق الشعري الذى لا يتم
 إلا به.» (الطفى، ١٩٧٠م: ١٣٦)

ولقد جمع الشريف المرتضى الهاجس النقدى جنبا إلى جنب الهاجس الإبداعى
 فكان قارئاً ناقدا لا يقوم الفعل النقدى عنده إلا على معايير تتعاقد بينه بوصفه منشئاً
 وبين نصه ومنتلقيه وهذا ما حقق له «تحريك طاقات اللغة الكامنة واعتمادها في أداء
 المعنى على الإيحاء والإشارة وترك التصريح ... حتى لكأن عملية القراءة تنقلب إلى
 ضرب من الاستبطان الذاتى وإذ ذاك تصبح لغة النص مجرد قاذح تتداعى له المعانى في
 النفس...» (حمادى، ١٩٨١م: ٦٢٠)

ولما كان للعامل النقدى أثر مهم في صحة القراءة؛ فإن ذلك ليس مطلقا بل قد يخضع
 لحدود وأطر فنية فالقارئ للشعر يستطيع أن يجدد باستمرار أفكارا ومعانى جديدة
 له والشعر فوق أساليب الكلام وفوق التحليل اللغوى والترجمة والموضوع، ذلك أن
 الشعر فى رأى ابن المدير (ت ٢٧٠هـ) «موضع اضطراب يغتفر فيه الإغراب وسوء النظم
 والتقديم والتأخير.» (الدسوقى البساطى، ١٩٦٥م: ٢٦١)

ويتخذ منهج التفرد فى كتاب طيف الخيال عدة رؤى استطاعت أن ترصد المعانى

ذات الصلة بالطيف والخيال وتحلل ألفاظه وتراكيبه غزلا وصبابة ووجدا وعشقا؛ وعلى هذا الأساس تنوعت أشكال التفرد الإبداعي عند الشريف المرتضى وكالاتي:

- التفرد بالمؤاخذة والرد.
- التفرد بالتمحيص والتأويل.
- التفرد بالانحياز أو التغاضي.
- التفرد بالسبق والصدارة.

١. التفرد بالمؤاخذة والرد

إن اعتداد الشريف المرتضى بمقدرته النقدية قد مكّنه من تحقيق التفرد الإبداعي الذي كثيرا ما يأخذ صيغة المؤاخذة والرد عبر قراءات تؤسلب قراء سابقين أو مجالين أو ترفض قراءات شعرية متقدمة وهو مما يدخل في حقل نقد النقد.

ولكى يحقق الناقد قراءة رادة أو مؤاخذة فلا بد أن يمتلك ذاتا قادرة على استنتاج المقروء واستلها مكوّناته، وقد اتخذ التفرد بالمؤاخذة سبيل الموازنة ما بين قراءات الآمدي لشعر أبي تمام وبين قراءات المرتضى لشعر هذا الشاعر ومن ذلك تعقيب المرتضى على قراءة الآمدي للأبيات:

زار الخيال لها لا بل ازاركه	فكر إذا نام فكر الخلق لم ينم
ظبي تقنصته لما نصبت له	من آخر الليل إشراكا من الحلم
ثم اغتدى وبنا من ذكره سقم	باق وان كان معسولا من السقم

(عزام ومحمد عبدة، ١٩٧٠م: ١٨٦-١٨٥)

وقد عدّ الآمدي الشطر الأول من البيت الأول ليس بالجيد فرد المرتضى عليه معتذرا لأبي تمام «فأى معنى لقوله إنه ليس بالجيد وقد فطن من غرضه لما فيه العذر وزوال العيب والقدح فكأنه جمع بين الشيء وضده» (الشريف المرتضى، ١٩٦٢م: ٩)، ثم أخذ يفصل الرد بالوقوف عند الألفاظ واحدة واحدة منتقلا إلى الشطر الثاني من البيت الأول فلم يجد مشكلا فيه لاسيما أن إبدال لفظ الخلق بالخلو لا بأس بها، لينتقل

١. وفي الديوان (في آخر الليل) و(مشغولا عن السقم).

إلى الشطر الثاني من البيت الثالث الذى وجده الآمدى ليس بشيء «يريد أنه لا ينام بالليل وأنه يسهره وأنه يهوم فى آخره تهويما فيطرقة الخيال فى ذلك الوقت.» (المصدر نفسه: ١١)

فردَّ المرتضى داخضا تلك القراءة مضيفا وجها آخر لقول الشاعر آخر الليل وليس أول الليل ليقول: «إن الخيال لا يطرق فى العادة إلا مع وقور النوم وغزارته والاستئقال فيه وهذا إنما يكون فى أواخر الليل ومع استمرار النوم وطول زمانه فلهذا خص آخر الليل.» (المصدر نفسه: ١١-٧)

ومن المؤاخذات الأخرى التى سجلها الشريف المرتضى على الآمدى طعن الأخير على أبيات لأبى تمام فرد المرتضى «فأما طعن الامدى على الأبيات الميمية التى لأبى تمام ودعواه أنه لا حلاوة لها ولا طلاوة فمن قبح العصبية لأن قوله .. صحيح الوضع مليح المعنى لأنه إذا كان لا تلاقى بينه وبين محبوبه نهارا ولا وصل ولا قرب وأن ذلك كله يكون ليلا فالليل أنفع له من النهار وأمتع وأى شيء يراد من أبى تمام أن ينتهى إليه فى هذا البيت أكثر من هذا.» (المصدر نفسه: ١٩)

وإذا ما أعجب الآمدى ببيتين للبحترى لأنه «لا شبهة على متعصب فى حسنهما ونصوعها» فإن المرتضى يرد مؤاخذة الآمدى ومتسائلا كيف أنه وجد فى أبيات أخرى أنها أحسن وأحلى مرجحا أن تفضيلها على الأولى غير صحيح. (المصدر نفسه: ٢٣-٢٢)

ومثل ذلك أيضا إعجاب الآمدى بأبيات للبحترى إذ قال: «وهذا والله الكلام العربى والمذهب الذى يبعد على غيره أن يأتى بمثله - فجاء المرتضى بقراءة رادة - ونقول: إن الوصف يقصر عن بلاغة هذه الأبيات وبراعتها وسلامتها وإنما بعجب من طروق الخيال مع الأرق الذى يشرّد الخيال فلا يكون معه فى موضع العجب.» (المصدر نفسه: ٣٠)

ولما وجد الآمدى فى أبيات تسعة للبحترى أنها «لو وردها الظمان لروى لكثرة

١. والبيت الذى مثل به، هو:

الليالى أخفى بقلبي إذا ما جرحته النوى من الأيام

مائه» رد المرتضى معتدا بذوقه ومنفردا بالقراءة لا أكثر «وأقول: إنه قد تقدم فيما أوردناه للبحترى من هذا الباب ما هو من هذه الأبيات انصع وأطبع وأحلى وأعلى وأعقب بالقلوب واعلق بالنفوس.» (المصدر نفسه: ٢٥)

وعن قراءة الآمدى لأبيات البحترى (البحترى، ١٩٦٢م: ١٩٩-١٧٩) قال المرتضى رادا: «أن الأبيات ناصعة الجمال بعيدة المثال وفي البيت الأخير .. معنى جليل القدر ثقيل الوزن له غور عميق وأس وثيق وإنما أراد البحترى أن الذى يراد من الحق من بلُّ الغلّة وإمساك الرمق وتمنع النفس هو في هذا الباطل فقد تساويا في الغرض المقصود وقام الحق فيه مقام الباطل.» (الشريف المرتضى، ١٩٦٢م: ٢٩-٢٨)

وعلى الرغم من أن المرتضى كان في أغلب قراءاته لموازات الامدى مؤاخذا ورادا إلا أنه كان في بعض الأحيان يوافق الآمدى على بعض قراءاته فمثلا أنه وافق الآمدى في أربعة أبيات كان قد قرأها الآمدى فوجد أنها قول ليس بينه وبين القلب حجاب فعقب المرتضى «وقد صدق في مقالته وأنصف في شهادته.» (المصدر نفسه: ٣٧)

وقد يكون المرتضى في قراءاته الرادة معنفا الآمدى ومزدريا عليه فمثلا أن الآمدى كان قد أعجب بأبيات للبحترى فقال: «وهذا كله إنما حسن هذا الحسن وقبلته النفوس لأنه اعتمد أن يخبر بالأمر على ما هو به من غير زيادة ولا نقصا.» (المصدر نفسه: ٣٩؛ وصقر، ١٩٧٢: ١٤٠)

فرد المرتضى ردا قاسيا لا يخلو من التهكم والتعنيف «لا فصاحة لكلامه ولا بلاغة ولا براعة وكم من مخبر عن الشىء على خلاف ما هو به لكلامه القبول وإلى القلوب الوصول وهذا يدل على أن حظ الألفاظ في الكلام الفصيح منظوما ومثورا أقوى من حظ المعاني وقد نبهت على ذلك في مواضع من كلامي من أراد الاستقصاء وقف عليها.» (المصدر نفسه: ٣٩)

وكذلك عارض المرتضى الآمدى حين رأى في أبيات لأبي تمام أنها لا حلاوة فيها ولاطلاوة بالرد أن في الأبيات «إحسانا لا يجحد وفضلا لا ينكر.» (المصدر نفسه: ١٨-

١٧؛ صقر، ١٩٧٢م: ١٣٥)

ولما كان المرتضى يؤاخذ الآمدى فإنه كثيرا ما كان يعتذر للشاعر البحترى (المصدر نفسه: ٤٩)، وقد يدفعه تفرد في المؤاخذة والرد أن يصطنع قراءات نقدية تبني على افتراض أن قائلا ما تساءل طالبا منه جوابا فيقوم بالرد بقراءة معقبة ومن ذلك أن قول البحترى:

كان الكرى حظ العيون ولم أخل أن القلوب لهن حظ في الكرى

(البحترى، ج ١، ١٩٦٢م: ٢٤٣)

فقال «لقائل أن يقول: أى حظ للقلوب في الكرى لم يخله ثم وجده؟ وأى حظ معهود للعيون من الكرى فان هذا ليس يبين في كلامه؟ والجواب: أن العيون من حيث تودعت وسكنت عن موالاة النظر.. كان لها بذلك حظ من الكرى دون القلوب.» (الشريف المرتضى، ١٩٦٢م: ٢٦-٢٥)

ومن المعروف أن المرتضى كان ميالا إلى البحترى الذى كان أثره فيه وفي أخيه الرضى واضحا جليا لاسيما اهتمامه بالطيف فاقتنيا أثره في هذا الباب. (المصدر نفسه: ٢١ مقدمة المحقق)

وبذلك يتخذ التفرد عند المرتضى منحى نفسيا أساسه التنافس الشعري والميل النقدى الذى يمنحه القدرة على الرد بحزم والمؤاخذة بجدارة.

٢. التفرد بالتمحيص والتأويل

سلك الشريف في النقد مسلكا منهجيا يقوم على تتبع دلالات الألفاظ ومعانيها وتقليبها بما يوصل للمتلقين تأويل المعانى، متفحصا المسائل الأدبية متأملا الظواهر الشعرية بموضوعية وعلمية مدعمة بحجج عقلية فيها علم بالشعر وفنونه .. ومن ذلك تأويله هذا البيت، وهو لأخيه الشريف الرضى:

أراغب من طيف الخيال وصالا ويأتى خيالا أن يزور خيالا

(الشريف الرضى، ج ٢، ١٣٠٧ق: ٦٤٠)

فقال مؤولا البيت الشعري: «فإنما أراد أن الخيال الذى يطرق فى النوم ويتمثل

للراقد يأبى أن يزور النحيل المدنف الذى قد صار خيالا من النحافة والنحول، وإنما سمى الناحل الذى قد ذاب جسمه وذهب لحمه وغازت نضارته وذهبت غضاضته خيالا تشبيها بالخيال الذى يتمثل للنائم وهو مما لا حقيقة له ولا وجدان فأجرى من زاد نحوه فصار عند الرؤية غير متحقق ولا متيقن مجرى الخيال فى النوم الذى لا يتحقق وإنما يتخيل وما زالت الشعراء تصف الناحل بأنه خيال لا يحس ولا يدرك ولا يعلم.» (الشريف المرتضى، ١٩٦٢م: ٩٩-٩٨)

وهو إذ يستشهد بأبيات من شعره هو فإنه قد يشرح معنى لفظ أو يفسر صورة، ومن ذلك قوله:

وكيف اهتدى والقاع بينى وبينه ولماعة القطرين مناعة القطر

(الشريف المرتضى، ج ٢، ١٩٥٨م: ٦٧)

فعلق مفسرا للمتلقى رؤيته ومبينا وجهة نظره «وإنما قلت مناعة القطر وهى على الحقيقة ممنوعة لا مناعة لأقابل بين لمامة ومناعة والمعنى مع ذلك صحيح لأنها تمنع القطر السائر فيها وتعدمه منها فجاز أن يقال مناعة وان كانت هى أيضا ممنوعة.» (الشريف المرتضى، ١٩٦٢م: ١٢٣)

ومن دلائل النظر النقدي المتمحص تناول المرتضى لقضايا اهتم النقد القديم بالوقوف عندها ومنها قضية السرقات ليتفرد برأى نقدي موضوعى يقطع بان التوارد فى الخواطر جائز «وكما قلت فى كثير من كتبي إنه لا ينبغى لمنصف أن يقول: هذا البيت مسروق المعنى من فلان لأنه قاطع على ما لا يأمن هذا أن يكون كذبا فرجما تواردا فيه من غير قصد والأولى أن يقال هذا نظيره وشبيهه.» (المصدر نفسه: ١٤١)

وبذلك يصبح بإمكان الشاعر أن يأخذ المعنى فيكون ثمرة خاطره ليختص به كما أن الشاعر إذا أحسن الصياغة فليس ذلك سرقة «ومن عبر عن معنى متداول بأحسن عبارة وابلغها فكأنه مبتدئه ومنتشئه وما يضره أن سبق إليه إذا كان منفردا بإحسان العبارة عنه فحظ العبارة فى الشعر أقوى من حظ المعنى.» (المصدر نفسه: ١٦٨)

وقد يقع التوارد من دون عمد وهذا ما لا سلب فيه ولا نقض أيضا ومن ثم تكون المحصلة الموضوعية من ذلك كله «وهكذا يجب أيضا ألا يطلق احد فى معنى من المعانى

أنه منفرد به وسابق إليه وإن كان لم يسمع له نظيراً ولا عثر له على شبه لأنه لا يأمن أن يكون فيما لم يبلغه ولا اتصل به ... ومن ذا الذي يحيط علماً بكل ما قيل وسطر وذكر والانصاف أن يقال: في مثل هذا المعنى ينفرد به فلان على ما بلغني واتصل بي وانتهى إليه تصفحى وتأملى.» (المصدر نفسه: ١٤١)

وفي إطار قضية اللفظ والمعنى كان الشريف المرتضى من أنصار النسيج والصياغة إذ أن الغلبة ليست في الاشتراك في المعاني وإنما يقع الإحسان في حسن النسيج وسلامة السبك على المعاني (المصدر نفسه: ٢١) وان حظ الألفاظ في الكلام الفصيح أقوى من حظ المعاني (المصدر نفسه: ٣٩)، وعدّ لفظة الدعوة هجئة لأن الألفاظ ينبغي ألا تكون عامية قلما يستعملها فصحاء الشعراء. (المصدر نفسه: ٢٠)

وان الصنعة كلما كانت أخفى كانت أحلى (المصدر نفسه: ٢٣) وان لا فضل للمعاني على الألفاظ بل «الخواطر مشتركة والمعاني معرضة لكل خاطر جارية على كل هاجس. وكيف جرى الأمر وعلى أى القسمين كان فان العنصر واحد والمعدن واحد.» (المصدر نفسه: ٩٥)

وقد تابعه في ذلك نقاد كثيرون ومنهم ابن الأثير الجزرى (ت ٦٣٧ق) الذى ذهب إلى أهمية «أن تكون المعاني المقصودة ذات ألفاظ حسنة راتقة و... معرفة اللفظ الجيد من الردىء والفرق بينهما .. واعلم أن المعنى هو عماد اللفظ واللفظ هو زينة المعنى.» (ابن الأثير الجزرى، ١٩٥٦م: ٢١)

ولذلك اهتم المرتضى ببيان معاني بعض الألفاظ مثل «الخاطر والقود وهلهل والنائر والصدى والمصدّد والتصريد ومحسوب التى تحمل شيئين احدهما التقليل لان الشىء القليل يوصف بأنه محسوب .. والوجه الآخر أن معنى محسوب متوقع منتظر.» (الشريف المرتضى، ١٩٦٢م: ٤٦-٣١)

وتفرد في شرح معاني لفظة النفس عبر تنقيب لغوى واصطلاحى يرفض المغالاة في التأويل أو الغلو في التفسير «والنفس عبارة في اللغة العربية عن أشياء كثيرة منها: الدم ولذلك قالوا: ما لا نفس له سائلة .. وسميت النفساء بهذا الاسم لأجل الدم ويعبر بالنفس عن الذات يقال فعلت ذلك بنفسى وجاء زيد نفسه ونفسى تنوق إلى كذا وكذا

أى: أنا تائق إليه. والذي تهذى به الفلاسفة من أن النفس جوهر بسيط وينسبون الأفعال إليها مما لا حصول له وقد بينا فساده في مواضع كثيرة من كتبنا ودللنا على أن الفاعل المميز الحى الناطق هو الإنسان الذى هو هذا الشخص المشاهد دون جزء فيه أو جوهر بسيط يتعلق به.» (المصدر نفسه: ٥١)

ومن صور تفرد النقدى التزامه الحياد والاعتدال من دون أى تمادٍ معتمداً تمحيص النصوص على وجوه عدة لا على وجه واحد متخذاً من التأويل منهجية نقدية تتيح له تقليب النص على مختلف القراءات وهذا ما تفره نظريات القراءة والتلقى و«لقد رأى الدارسون أن من خصائص الفن أن يكون قابلاً لاختلاف التأويل دون أن يفقد شيئاً من قيمته لا بل انه كلما تباينت ظروف التأويل ازداد الفن قيمة وارتفع مقاما فكل أثر فنى هو حمال أوجه .. واختلاف التأويل دليل على أن وراءه حقيقة إنسانية يحاول المؤلفون أن يصلوا إليها.» (محمود، ١٩٧٩م: ٤٧-٤٦)

ومن ذلك انه لما وقف عند وصف البحترى للتثنى بالروود في (رود التثنى) فإنه وجد أن هذا الوصف لا يليق لكنه اعتذر للبحترى بوجهين «أحدهما انه استعار للتثنى وصف صاحبه للمقارنة والآخر أن سرعة الشباب لا تكون إلا مع النعمة والرطوبة فحمل على المعنى وأراد أنها ناعمة التثنى أو رطبة التعطف.» (الشريف المرتضى، ١٩٦٢م: ٦١؛ والبحترى، ج ١، ١٩٦٢م: ١٩٤-١٩٣)

ولكونه يضع المتلقى دوماً في باله لذلك تعدد قراءاته على افتراض أن قائلاً قد يقول: «التخيل والاعتقاد إنما هو بالقلب في نوم أو يقظة ولا حظ للعين فيه في الحالين: فالجواب أن الأمر على ذلك لكن العين في اليقظة تكون سبباً لتخيل القلب فرط حسن بعض الأشخاص وان لم يكن كذلك فأضيف التمويه إليها لأنها كالسبب فيه وفي النوم يعتقد النائم بقلبه ويتخيل انه يرى بعينه ما ليس يراه على الحقيقة فصار القلب سبباً لتخيل شىء يضاف إلى العين من رؤية ما ليس يراه فكان التمويه ههنا من القلب على العين وليس يحتمل الشعر هذه المحاسبة والمناقشة والإشارة فيه تكفى.» (الشريف المرتضى، ١٩٦٢م: ١٢٢)

ومن تأويلاته لمعنى أن الأرواح لا يصح عليها في الحقيقة التلاقي والتزاور وهو

ما اعتاد السابقون على تداوله وقد تابعهم لأنه لا يريد أن يشط عن معانيهم فقال: «الشعراء لما رأوا أن الأجساد في طيف الخيال لم تتلاق ولا تدانت نسبوا التلاقي إلى الأرواح تعويلا على قول من جعل النفس لها قيام بنفسها وأنها غير الجسد وان التصرف لها: فجرينا على هذه الطريقة وان كان ذلك باطلا في التحقيق.» (الشريف المرتضى، ١٩٦٢م: ١٣١)^١

وقد تتخذ نمطية التفرد في التأويل عند المرتضى أن يأتي بوجوه قرائية كما في شرحه لقوله (ما زار إلا في سنة) الذي حمله على وجهين تأويليين «إحدهما انه ما زار لجبته وشدة خوفه إلا زيارة هي تخيل وغير تحقيق والوجه الآخر أن يريد انه ما زار إلا في الليل فعبر عن الليل بما لا يكون في الأغلب إلا فيه: والليل يستتر بظلمته الجبان الخائف.» (المصدر نفسه: ١٦٧)^٢

ومن آرائه الموضوعية التي اعتمدت أسلوب التعليل رفضه التفريق بين لذة الخيال ولذة اللقاء والسبب أنه «وبعد زوال الأمرين ومفارقة الحالين ما أحدهما في فقد متعته وزوال منفعتة إلا كصاحبه» (المصدر نفسه: ٥)، وفسر إعجابه باستعارة أبي تمام في "سرا من الأجسام" مجوزا للشاعر أن يستعير في بعض كلامه تغريبا وتقريبا. (المصدر نفسه: ١٩)^٣

ولم ير في الشعر الذي يتعجب من اهتداء الطيف إلى المضاجع تجديدا أو ابتكارا والسبب أنها «جادة مسلوكة وطريق مهيع وما ورد في ذلك أكثر من أن يحصى.» (المصدر نفسه: ١٠٢)

وعلل كيف أن الشعراء قد تعجبوا من اهتداء الطيف بالقول: «لأنهم فرضوا زيارته زيارة حقيقية وطروقا صحيحا فتعجبوا مما يتعجب من مثله في ذلك من طي البعد في اقصر زمان ومن الاهتداء بغير هاد ولا مرشد مع تراكم الظلم وتشابه الطرق وفقد الظهر

١. وينظر: ديوان الشريف المرتضى، المجلد الأول، ٢٦٥؛ والبيت هو:

تلاقينا بأرواح وفارقنا بأجساد

٢. وينظر: ديوان الشريف المرتضى، المجلد الثالث، ٣٠٩؛ والبيت هو:

من زائر ما أجبته ما زار إلا في سنة

٣. والبيت هو: يا لها لذة تنزهت الأر واح فيها سرا من الأجسام

ومن فرض شيئا أجرى أوصافه له على ما فرضه دون ما هو عليه في نفسه.» (المصدر نفسه: ١٠٨)^١

وشرح سبب اسناد (يخدعني) إلى الكرى «إنما أضفت خديعة الطيف إلى الكرى لأنه لولا النوم وأسبابه ما تخيل الطيف ولا تمثل.» (المصدر نفسه: ١٢٠)

وبين لم جعل عين الرقيب مطروقة بالكرى بالقول: «ولما كانت طرفة العين تجز عن أبصارها وكان الكرى أيضا كذلك جعلت عين الرقيب من حيث منعها النوم عن الرؤية كأنها به مطروقة والعادة أن عين المحب تموه على قلبه حتى يستحسن ما ليس بحسن أو ما لم يبلغ الغاية التي تخيلها واعتقدها وفي النوم انقلبت هذه العادة وصار القلب يخيل أن العين ترى ما ليس تراه على الحقيقة.» (المصدر نفسه: ١٢٢-١٢١)

وقد دفعه اعجابه ببيت من شعره كان قد وجده في غاية التحكم في القلوب إلى تفسير ذلك بالقول: «لأن انقضاء الطيف بغير اثر ولا بقية كسطور تحمى بغير اثر ولا بقية وإضافة المحو إلى الصبح في موقعه وموضعه.» (المصدر نفسه: ١٧٩؛ والشريف المرتضى، ج ٢، ١٣٠٧ق: ٦٠)^٢

وعادة ما تخلو قراءاته الممحصة والمؤولة من التعنيف أو التهكم أو المغالاة إزاء النقاد أو الشعراء كونه يظل ملتزما بموقف منصف عماده التعليل والاحتجاج والتأويل.

٣. التفرد بالانحياز أو التغاضي

إن لهذا الشكل من التفرد الإبداعي سببا ذاتيا وميلا انطباعيا يجعل المرتضى يتحيز إلى احدهم نظم شعرا في الطيف أو يتغاضي عن اخر متجاهلا له أو متعاملا عليه..

ومن صور ذلك التفرد ما كان من انحياز المرتضى إلى البحتري في معرض الرد على ما أخذه الامدى عليه من إمكانية أن يبدل قولاً بقول آخر فاعتذر له المرتضى بأن «وزن الشعر لم يمكنه من ذلك فعدل إلى لفظ آخر وما أراد إلا هذا المعنى بعينه.» (الشريف المرتضى، ١٩٦٢م: ٤٩)

١. دون الزيارة مريخ وزرود
محوت بضوء الصبح سطورا

٢. والبيت هو: إلى اهتديت وكيف زرت وبيننا
والبيت هو: ولما انقضى ما صرت إلا كآنتي

ولا غرو أن نجد لديه تعصبا لأولئك الشعراء الذين أولوا الطيف اهتماما إذ رأى أن العتابي مجود في أربعة أبيات وان مسلم بن الوليد أحسن في بيتين وان النمر بن تولب أحسن في بيتين (المصدر نفسه: ٨٧-٥٥) والسيد الحميري «قوى الطبع جزل اللفظ سليم التصرف والتقلب» (المصدر نفسه: ١٠٧) وإن ذا الرمة أحسن في بيتين. (المصدر نفسه: ١١٣)

وعلى الرغم من أن الشعراء الذين جرى ذكرهم في سياق التحليل والقراءة كثيرون وهم: ابن المعتز وجران العود والكميت وقيس بن الخطيم ومالك بن اسماء ودعبل وجريز وطرفة وعمرو بن قميئة وقيس بن الملوح وعبيد بن الأبرص والفرزدق والأقرع بن معاذ وذو الرمة؛ إلا إن إعجابه بالبحترى وما قاله في طيف الخيال قد حمله على التحيز غاضا الطرف عن أى شاعرية أخرى متقدمة في عصره.

واغلب انتقاداته للامدى تأتي من باب التعصب للبحترى والانتقاد لشعر أبي تمام وهو ما كان قد صرح به في المقدمة «ولأبي تمام في هذا المعنى التافه اليسير فانه ما عنى به ولا رزق منه ما رزق البحترى فانه كان مغرما متيما بالقول في الطيف فأكثر فيه وأغزر مع تجويد وإحسان وافتنان.» (المصدر نفسه: ٥-٤)

وعلى الرغم من تقديمه البحترى على أبي تمام إلا انه كان يقف إلى جانب أبي تمام متحاملا على الامدى قائلا: «وما رأيناه أثنى على البيت الثانى .. بما يستحقه وقدح في البيت الأول بما ليس يقدر على اعترافه فليتة جمع بين القدح للمقدوح والمدح للممدوح.» (المصدر نفسه: ١٢١)

ولكى لا يبدو في قراءاته تلك متغاضيا عن الامدى متحاملا عليه فإنه قد يستدرک بأن الامدى قد يعترض على مثل هذه القراءة كأن يقول: «قد مدحت جملة الأبيات وقلت إنها حسان وأغراضها مستقيمة قلتُ هذا مدح تكلفته وما نراك إذا أعجبتك أو أطربك مغنى للبحترى تقتصر على هذا القدر من المدح وقد كان ينبغى أن تخص البيت

١. والأبيات ثلاثة أولها:

زار الخيال لها ، بل ازاركه فكراً اذا نام فكر الخلق لم ينم
وكذلك ينظر: الصفحة ٤ من هذا البحث.

الثاني بزيادة الإطراء والمدح وتوقظ على جودة طرحه وسبكه فانه لا يجرى مجرى ما تقدم عليه ولا تأخر عنه وما فعلت ذلك.» (المصدر نفسه: ١٢)

وجدير بالذكر أن الشريف المرتضى كان قد تغاضى في كتابه طيف الخيال عن الوقوف عند شعر المتنبي كما تجاهل نقاده ..

وقد ذهب المحقق الصيرفي إلى أن السبب هو أن «في شعر المتنبي هجوا في بعض العلويين .. ولكننا لم نجده يطلق لسانه في المتنبي كما أطلق بعض معاصريه ألسنتهم فيه.» (المصدر نفسه: ٢٥)

في حين أنه انحاز إلى عمرو بن قميئة كونه أول من نطق بوصف الطيف «فانظر إلى هذا الطبع المتدفق والنسج المطرد المتسق من أعرابي قح قيل أنه مفتتح لوصف الطيف وكأنه لا نطباع سبكه وجودة رصفه قد قال في هذا المعنى الكثير ونظم منه الغزير وقلب ظاهره وباطنه وياشر أوله وآخره وكأنه قد سمع فيه من أقوال المحسنين وإجادة المجيدين ما سلك منهجه وأخرج كلامه مخرجه لكن الله تعالى أودع هؤلاء القوم من أسرار الفصاحة وهداهم من مسالك البلاغة إلى ما هو ظاهر باهر ولهذا كان القرآن معجزا وعلمنا على النبوة لأنه اعجز قوما هذه صفاتهم ونعوتهم.» (المصدر نفسه: ١٠٠-٩٩)

والميل التأثيري قد يدفع المرتضى إلى أن يمدح الطيف ويتغنى به تارة أو قد يتحامل عليه مقللا من شأنه تارة أخرى، ومن أمثلة ذلك أنه مدح الطيف فهو «وصل من قاطع وزيارة من هجر وعطاء من مانع وبذل من ضنين وجود من بخيل وللشيء بعد ضده من النفوس موقع معروف غير مجهول» (المصدر نفسه: ٥) وانه «تمتع وتلذذ لا يتعلق بهما تحريم ولا يدنو إليهما تأثيم ولا عيب فيهما ولا عار.» (المصدر نفسه: ٦)

ولكنه في موضع آخر ذمه ورآه باطلا جامعا بين الاستحسان مدحا وإشادة والاستغراب ذما وإبطالا وأكد ذلك بالقول: «ولى في وصف الخيال بأنه باطل ومحال زائل .. ومما يتكرر في شعري من هذا المعنى كثير.. وإنما اشرنا ههنا إلى القليل منه.» (المصدر نفسه: ١١٤)

وقد يدفعه تعجبه بما نظمه هو من شعر في الطيف إلى تقديم نقد انطباعي ذاتي فيه علو للأنا إلى درجة التباهي والزهو كقوله معقبا على قطعة شعرية له «البيت الثاني

عجيب المعنى لان تحيل الطيف إنما يتم بالنوم الذى حجز بين اليقين وبين النائم فاعتقد ما لا حقيقة له..وما وجدت إلى الآن تشبيه الطيف الذى لا مقتنى له ولا محصول باللفظ الخالى من معنى الباطل من غرض وان كان قيل قديما وحديثا أن الطيف باطل وزور ومحال ولا عائدة له فما شبهوه هكذا باللفظ الفارغ فهذا التشبيه هو الغريب.» (المصدر نفسه: ١٤٣)

ولا خفاء أن فهم الذات للعملية الإبداعية واستشراف آفاقها إنما ينعكس على أداء العملية النقدية أيضا وقد بدا تأثير المرتضى الشاعر فى المرتضى الناقد قويا ليغدو فى بعض نقده انجيازيا ترتفع لديه نبرة الأنا ويعلو صوت الذات، ومن ذلك ما أورده الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ) عن أبيات نظمها بنفسه وأخذ بشرحها فى قوله:

لا طرق الطيف الذى كان من أكبر همى أنه يطرق

(الشريف المرتضى، ج ٣، ١٣٠٧ق: ٢٩٩)

فقال: «إنما قلت (لا طرق الطيف) لأننى بنيت هذه القصيدة على ذم إتباع الهوى والانخراط فى سلوكه لا فائدة له من طروق الطيف. وإنما جعلت ظنون النائم وفساد أحاديته لنفسه واعتقاداته..» (الشريف المرتضى، ١٩٦٢م: ١٥١)

وقد أخذه تعصبه إلى الاستزادة فى التمثيل بشعره على حساب شعر الطائيين ليكون ذلك أهم ملمح فى التفرد الإبداعى بالتحيز فقد شغل شعر الشريف المرتضى ما يقارب ثلث الكتاب مكررا عبارات "ولى من قصيدة أوله" (المصدر نفسه: ١٣٨-٢٧) أو "ولى من قطعة مفردة" أو "وشمل قولى". (المصدر نفسه: ١٨١-١٤٣)

وقد يكون لصلة الرحم أو القرابة دور فى الانحياز فمثلا انه لما مثل بيتين من شعر دعبل بن على الحزاعى ذكرهما من دون تحليل (المصدر نفسه: ٥٨) ولكنه لما مثل بقصيدة بائية من تسعة أبيات من شعر أخيه الشريف الرضى فانه قدم لها قراءة طويلة شارحا معانى بعض الأبيات. (المصدر نفسه: ٩٤-٩٣)

ليكون المرتضى فى هذا الشكل من أشكال التفرد قد مارس دورين معا أحدهما

١. ويعنى بذلك قوله: إنما الطيف كلفظ فارغ ما فيه معنى،

ينظر: ديوان الشريف المرتضى، المجلد الثالث، ٣٠٣.

دور الشاعر الذي لا ينفك يتحرى السبق في المعاني والآخِر دور الناقد الذي يتحرى الصدق والموضوعية وتبقى الفضيلة انه أراد التفرد فتفرد وأراد المغالبة فغلب وما كان ذلك ليكون لولا تعاضد الوظيفتين الإبداعيتين داخل ذاته ووظيفة الشعر ووظيفة النقد.

٤. التفرد بالسبق والصدارة

كثيرا ما تباهى الشريف المرتضى بالتفرد في ابتكار المعاني الجديدة والسبق في ابتداعها متفخرا بذلك موجها نقده لمعاني طيف الخيال وجهة تفضيلية موازنا بين شعره وشعر الآخرين.

وقد يكون وراء ذلك البحث عن السبق الريادي والرغبة في التصدر الافتخار بالشاعرية اعتدادا بما حباه الله من موهبة وفطرة.

ولعلنا لا نغالي إذا قلنا أن المرتضى ما وضع هذا المصنف إلا رغبة في إثبات تفوق الأخوين في النظم في الطيف على الطائيين، وقد قال المرتضى في المقدمة: «أن اعتمد على إخراج ما في ديوانى الطائيين ثم ما في ديوانى شعري وشعر أخى نضر الله وجهه وأحسن منقلبه فانقله على جهته من غير إخلال بشيء منه.» (المصدر نفسه: ٤)

وأغلب مفاخراته إنما تأتي من منطلق أنه جوّد في طرق معاني الطيف أكثر من غيره ولا سيما البحترى وقد ختم كتابه طيف الخيال بتأكيد هذا الأمر «وقد أخرجت من ديوان شعري في وصف الطيف ثلاثمائة وخمسة وعشرين بيتا وهذا أكثر مما أخرجناه للبحترى على شغفه بوصف الطيف ولهجه به، فان الذى أخرجناه له مائتان ونيّف وعشرون بيتا بل هذا المبلغ الذى اختصنا به يزيد عددا على كل ما سطر في هذا المعنى لكثير من الشعراء ومقل فأما التجويد فالتقدير يخرجه والفظنة مع الإنصاف الحكم فيه ولعله أن اتفق منا نظم شيء في هذا المعنى ضمناها إلى هذا الكتاب وأضفناه إليه.» (المصدر نفسه: ١٨١)

وقد تأخذه إطرأته الذاتية في التصدر والتفرد أن يجزم بأن لا نظير له في ذلك مستعملا عبارات مثل «أن قولى...أجود وأشد تحقيقا من كل نظير له في ذا المعنى» (المصدر نفسه: ١٥١) أو أن «هذه الأبيات لا فقر بها إلى تفسير وتبنيه كما لا حاجة بها

إلى مديح وإطراء» (المصدر نفسه: ١٥٣) أو أن «من شعري فاني كررته وقد بينت سبقي إليه.» (المصدر نفسه: ١٦٥)

ونظرا لدقة المرتضى في التمهيص والنظر فانه إذا ما افتخر بالسبق والتفرد والريادة فانه يعود ليقرر أن ليس لأحد أن يقطع بأنه لم يسمع مثله أو لم يقل أحد قبله (المصدر نفسه: ١٤١)، فمن ذلك أنه بعد أن ذكر قصيدة له ومنها قوله:

وليلة بتنا بالابريق جاءني على نشوة الأحلام وهنا رسوها
خيال يريني أنها فوق مضجعي وقد شط عنى بالغوير مقليلها

(الشريف المرتضى، ١٣٠٧ق: ٣٧-٣٦)

علق مفتخرا بشاعريته وأنه قد سبق في معنى (الخيال رسوها) مشيرا إلى أن هناك نظيرا له فقال: «وإنما أردت الطيف رسوها لأنه مذكر بها ومشوق إليها ولأنه مثال لها ومترجم فجرى مجرى الرسول.... وكان عندي أنى سابق إلى وصف الطيف بأنه رسول ومتفرد بهذا المعنى لأننى ما كنت وقفت فيما تصفحته ورويته على نظير له إلى أن رأيت لأشجع السلمى فيما رواه أبو عبيد الله المرزباني عن شيوخه... ووجدت أيضا فيما استأنفت تصفحه وتأمله للبحترى.» (الشريف المرتضى، ١٩٦٢م: ١٤٠-١٣٨)

وتباهى بشعره مقدما نفسه على سائر الشعراء الذين ناظروه المعنى مثل مجنون ليلي والتمار والنظار الفقعسى وعبيد بن الأبرص والغلابي والبحترى والحميرى والرضى والفرزدق وذو الرمة. (المصدر نفسه: ١١٣-١٠٧)

ولما وازن بيتين من شعره بيت لأبى تمام علق قائلا: «وهذا المعنى أيضا مما ابتدئته واخترته في وصف الطيف لأننى ما علمت سابقا إليه وعائرا به.» (المصدر نفسه: ٧) ولكي يدلل أكثر على تفرده وسبقه فانه عادة ما يجزم بأن معنى الطيف يجيء في شعره كثيرا مستخرجا من ديوانه أبياتا عديدة في طيف الخيال (المصدر نفسه: ١٦٨-١١٩)، مقتصرًا على استخراجها من دون قراءة (المصدر نفسه: ٧٠-٧٣) وقد يقطع أن قوله:

ومن ملتقى عذب المذاق ربحته فلم يرض لى حتى ربحت أاثامه

(الشريف المرتضى، ج ٣، ١٣٠٧ق: ٢٢٢)

ما وجد له نظيرا لأن فيه «معنى في الطيف عربيا ما ظفرت بنظير له إلى الآن في الشعر المدون لان بلوغ الغاية في المتعة بطيف الخيال لا يكون إلا مباحا لا أثم فيه ولا عار وقد يكون حراما وإنما وعارا لو كان في اليقظة وعلى الحقيقة وقد تكرر هذا المعنى في شعري.» (الشريف المرتضى، ١٩٦٢م: ١٤٦)

ولما اشتبه عليه أن قد يكون البحتري قد سبق في المعنى فكان جوابه «أن البحتري إنما عنى أن النوم يبذل لما جدواك بعد أن كانت ممنوعة فعبر عن البذل بالتحليل وعن المنع بالتحريم وذلك مליح منه ولم يرد التحليل والتحريم الحقيقيين وإنما أراد أنا لا نلتقى إلا في النوم الذي بذل من الالتقاء ما كان ممنوعا فكأنه أحل حراما» (المصدر نفسه: ١٤٧)، وبذلك دحض أن يكون البحتري قد سبق إلى المعنى أو أن الفرزدق قال مثله لأن ما قصده هو خلاف ما عناه المرتضى. (المصدر نفسه: ١٤٩-١٤٧)

وقد ينتصر لآرائه في السبق والتصدر بدعوى أن من حق «من أخرج إليه خاطره بعض المعاني من غير أن يكون سمعه ولا قرأه ولا احتذاه فله فضل الاستخراج والاستنباط الدالين على قوة الطبع وصحة الفكر وما عليه بعد ذلك أن يكون قد تقدمه متقدما فيه فوق التوارد فيه من غير عمد فان تجوز ذلك لا يسلب مدحا ولا ينقص فضلا.» (المصدر نفسه: ١٤٢-١٤١)

وربما اوقعه هذا الولع بالتفرد سبقا وتصدرا في مأزق تفضيلي بين أن يكون هو السابق في معنى أو يكون الشريف الرضى هو الأسبق ومن ذلك انه لما سبق في ابتكار معنى كان قد سمعه الرضى فأعجب به، وشهد أهل الأدب بأنه مستبدا غير مسبوق إليه ولا متعرض له أما الرضى فانه نفسه شهد لهذا المعنى بأنه مبتكر مخترع وأنه مستحسن مستعذب. (المصدر نفسه: ٩٥-٩٤؛ الشريف المرتضى، ج ٣، ١٣٠٧ق: ٩)

ولكن تبين له بعد حين أن أخاه الرضى قد طرقة فتساءل «ولست اعلم كيف جرت الحال في هذا المعنى وهل قصد رحمه الله إلى نظمه على علم حتى لا يخلو شعره من هذا المعنى المستغرب المستعذب أو انسى رحمه الله سماعه له وقذف به خاطره وجرى

١. والأبيات هي: وعهدى بتمويه عين المحب
فلما التقينا برغم الرقا
ينم على قلبه الطائر
د موه قلبي على ناظري

على هاجسه، فأثبتته تقديرا منه أنه مبدع له لا متبع فيه فكثيرا ما يلحق الشعراء ذلك فيتواردون في بعض المعاني المسبوق إليها وقد كانوا سمعوها فأنسوها فالخواطر مشتركة والمعاني معرضة لكل خاطر جارئة على كل هاجس وكيف جرى الأمر وعلى أى القسمين كان فان العنصر واحد والمعدن واحد وأينا سبق إلى معنى فالآخر بالنجر والسنخ (الأصل) إليه سابق وبه عالق.» (الشريف المرتضى، ١٩٦٢م: ٩٥)

وبذلك الموقف النقدي والتأويل الموضوعى استطاع أن ينقذ نفسه من الإحراج عبر رؤية فاحصة ترى ان الخواطر يمكن أن تتوارد وأن المعاني مشتركة ومن ثم لا يكون هناك فرق أن يكون المرتضى سابقا أو الرضى.

وكثيرا ما سعى الشريف المرتضى إلى أن يكون ناقدًا معتدًا بمقدرته في نظم الشعر كما أراد أن يكون شاعرا مميّزا بالسبق في ابتكار معاني طيف الخيال وهذا ما توصلت إليه استخراجاته من شعر الشعراء لاسيما البحترى لكى يؤكد تقدمه في القول بالطيف على سائر الشعراء المتقدمين والمجايلين انطلاقا من شاعرية فذة وقدرة نقدية متميزة.

النتيجة

بناءً على ما تقدم يتبين لنا أن الشريف المرتضى تمتع بقدرات فنية ومميزات قرائية جعلته متفردا إبداعيا سواء أكان ذلك على مستوى المنهجية النقدية شرحا وتفسيرا وتأويلا، أم كان على مستوى الرؤية الشاعرية فنا وجمالا؛ مستلهما ذلك كله من موهبة أصيلة ولغة نقدية عالية وخيال شاعري بارع.

ولقد اتخذ التفرد الإبداعي لدى الشريف المرتضى أربعة أشكال؛ اتجه الشكل الأول؛ نحو الرد على الآمدى في موازنته بين الطائيين فضلا عن مؤاخذة شعراء آخرين، واهتم الشكل الثانى من التفرد، بالتحلى بدور الناقد الموضوعى الذى يهتم بالتمحيص والتأويل مقدما وجوها قرائية متعددة ومعللة بموضوعية وعلمية.

وتمثل الشكل الثالث من التفرد، بتوجهات ذاتية في النقد أساسها النظر الانطباعى انحيازاً أو تحاملا مصوبا للآخرين أو منتقدا لهم، بحسب ما تزوده به ذاتته من دقة فى الحدس والفهم والبيان، وعنى الشكل الرابع من التفرد، بالسبق فى طرق معانى طيف

الخيال وابتكارها والتباهى بالتصدر الشعري فيها ليكون شاعرا ناقدًا إلى جانب كونه ناقدًا شاعرًا.

المصادر والمراجع

- ابن الاثير الجزرى، ضياء الدين. ١٩٥٦م. الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور. تحقيق مصطفى جواد وجميل سعيد. بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي.
- الآمدى، الحسن بن بشر. ١٩٧٢م. الموازنة بين شعر أبي تمام والبحترى. تحقيق السيد أحمد صقر. الطبعة الثانية. القاهرة: دار المعارف.
- البحترى. ١٩٦٢م. ديوان البحترى. تحقيق حسن كامل الصيرفى. المجلد الأول. الطبعة الثالثة. القاهرة: دار المعارف.
- حمادى، صمود. ١٩٨١م. التفكير البلاغى عند العرب مشروع قراءة. تونس: المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية.
- الدسوقي البساطى، إبراهيم. ١٩٦١م. الرسالة العذراء ضمن كتاب رسائل البلغاء. تحقيق. مصر: دار المعارف.
- الشريف الرضى، محمد بن الحسين الموسوى العلوى. ١٣٠٧ق. ديوان الشريف الرضى. المجلد الثانى. بيروت: لانا.
- الشريف المرتضى، على بن الحسين الموسوى العلوى. ١٩٦٢م. طيف الخيال. تحقيق حسن كامل الصيرفى. مراجعة إبراهيم الأبيارى. الطبعة الأولى. مصر: دار إحياء الكتب العربية.
- _____ ١٩٥٨م. ديوان الشريف المرتضى. تحقيق عيسى الحلبي. المجلد الثانى. لامك: لانا.
- عزام، محمد ومحمد محمد عبدة. ١٩٧٠م. تحقيق ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى. المجلد الثالث. الطبعة الثانية. القاهرة: دار المعارف.
- قصاب، وليد. ١٩٨٥م. التراث النقدى والبلاغى للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجرى. الدوحة: دارالثقافة.
- لطفى، عبدالديع. ١٩٧٠م. التركيب اللغوى للأدب. الطبعة الأولى. مصر: مكتبة النهضة المصرية.
- مبارك، زكى. ١٩٥٢م. عبقرية الشريف الرضى. الجزء الأول. الطبعة الثانية. القاهرة: مطبعة المجازى.
- محمود، زكى نجيب. ١٩٧٩م. فى فلسفة النقد. الطبعة الأولى. بيروت: دار الشروق.
- الملوحى، عبدالمعطى الحمصى وأسماء ابن الشجرى. ١٩٧٠م. تحقيق الحماسة الشجرية لهبة الله بن حمزة العلوى الحسنى. الجزء الثانى. دمشق: منشورات وزارة الثقافة.